

المسيحية المشرقية المستهدفة.. معناها

ناهض حنر

في أول اتصال معن عنه بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتن ونظيره السوري بشار الأسد، أعلن الكرملن أن بوتن أعرب عن قلقه إزاء وجود هجمة إرهابية منهجية ضد المسيحيين في سوريا. وهذه هي المرة الأولى التي تصف فيها موسكو الأعمال الإرهابية ضد مسيحيي سوريا بأنها منهجية؛ فمن تتبع الأحداث الأليمة في البلد الشقيق، لوحظ أنه بانتقال ملف العدوان على سوريا من قطر إلى السعودية، تحولت عمليات القتل والتهجير والاضطهاد، المتفرقة ولكن التي كانت تتم دائماً ضد المسيحيين والعلويين والشيعية والاسماعيليين، منذ أواسط 2011، إلى خطة مصممة تهدف إلى شن حرب إبادة ضد مسيحيي سوريا، ودفعهم إلى الهجرة خارج البلاد. وتعود هذه الخطة إلى مدير المخابرات السعودية بندر بن سلطان، وتنفذها مجموعات تابعة، أهمها مجموعات الإرهابي زهران علوش، المرتبط بالرياض، ورئيس ما يسمى «جيش الإسلام»، المنظمة التي تقدمها السعودية باعتبارها «معتدلة»؛ فما هي دوافع تلك الخطة؟

أولاً، التحشيد الطائفي واستئثار الغرائز، وتصوير الأعمال الإرهابية الموجهة، خصوصاً ضد مدينة دمشق، كأنها تستهدف «الكفار»، في إطار فرضية تظن بأن من الممكن الحصول على تأييد بعض القطاعات لتلك الأعمال الوحشية. ثانياً، الانتقام من الكتلة المسيحية السورية التي رفضت الانخراط في المشروع الغربي الخليجي التركي ضد الدولة الوطنية السورية. ثالثاً، اغتنام فرصة الأوقات الأخيرة، الأكثر دموية من الحرب السورية، لتوجيه ضربات موجعة للمسيحيين تدفعهم إلى الهجرة على المدين، القريب والمتوسط، ما يحقق الأهداف الوهابية والصهيونية معاً، في إخلاء سوريا وبلاد الشام - بعد العراق - من المسيحيين، الأمر الذي يحقق الآتي: (1) إضعاف القوى الاجتماعية المؤيدة للعثمانية، (2) إضعاف قسم مهم من القواعد الاجتماعية للحركات القومية واليسارية، (3) إشعال الصراع الطائفي - إضافة إلى الصراع المذهبي - في لبنان لضرب حليفي النظام السوري في هذا البلد، حزب الله والتيار الوطني الحر، (4) منح فكرة الدولة اليهودية شرعية واقعية؛ فحين تغدو المنطقة بلا مسيحيين، أو أقله بلا مسيحيين فاعلين، وينقسم المسلمون إلى سنة وشيعية، وتندم الأسس القومية والوطنية للكيانات، يحصل مشروع الدولة اليهودية، العنصري غير الواقعي تاريخياً، على تسويق واقعي. في الواقع، إن المعركة الرئيسية الآن هي بين التحالف السعودي الوهابي - الإسرائيلي الصهيوني من جهة، وإيران وحلفائها من جهة

أخرى. وفي هذا الصراع، يغدو التطهير الديني لمسيحيي المشرق «نتيجة عرضية» للصراع. هكذا هو بالنسبة إلى المحافظين الجدد في الولايات المتحدة، وممثلهم الحالي جون ماكين، كما بالنسبة إلى فرنسا، وكذلك بالنسبة إلى سمير جعجع وحزبه وأوساط مسيحيي 14 آذار. في نهاية شهر آب الفائت، قامت المجموعات التكفيرية الإرهابية، في إطار الخطة السعودية المشار إليها آنفاً، باقتحام بلدة معلولا المسيحية التاريخية، ووضعت أهلها بين خيارات اعتناق الإسلام أو الموت أو دفع الجزية، وهو ما يُعد انقلاباً كاملاً على أسس الوطنية السورية، وتهديداً عميقاً لمستقبل سوريا. بعدها، هاجم الإرهابيون بلدة مسيحية أخرى هي «صدد». وقد فشلت الجماعات الإرهابية في الحفاظ على سيطرتها على هاتين المدينتين، لكنها خلّفت وراءها ذلك الشعور الممض بانعدام الأمان والتفكير في الهجرة. ومع التقدم السريع الذي شرع الجيش السوري في تحقيقه، اتبع تنظيم زهران علوش الوهابي تكتيكاً جديداً يتمثل في قصف الأحياء والمدارس المسيحية في دمشق بالهاونات والصواريخ، ما أدى، في آخر مجزرة، إلى استشهاد وجرح 42 طفلاً وطفلة في مدرسة يوحنا الدمشقي في حي القصاع ذي الغالبية المسيحية، ثم استهدفت قذائف أخرى مدرسة الرسالة في باب شرقي في دمشق، ما أدى إلى استشهاد خمسة أطفال وإصابة 27 آخرين. وتابعت الجماعات الإرهابية، كذلك، عمليات القصف وتفجير المخفحات في بلدتي دوما وجرمانا. والاعتداءات الموجهة نحو تجمعات مسيحية في دمشق مستمرة، وربما ستتصاعد في ربيع الساعة الأخير من الحرب. جرى كل ذلك، ويجري مثله، تحت راية إسلامية. وبما أن الإرهابيين وجدوا ويجدون، هنا وهناك، عناصر مدنية محلية تؤيد أفعالهم ضد المسيحيين، كما حدث في معلولا نفسها، فمن المتوقع أن يتختر ذلك الشعور بالتهديد التاريخي في الوجدان الجمعي المسيحي، ويدفع، عاجلاً أو آجلاً، بالعائلات المسيحية إلى التخطيط لمغادرة البلد والمشرق كله. هنا، يظهر الاستهداف الوحشي للأطفال في المدارس كتكتيك لدفع الآباء والأمهات لاتخاذ القرار بالهجرة.

لا بد من ملاحظة أن مخاوف وجودية كتلك مرتبطة بالهلع على حياة الأبناء ومستقبلهم وبالمصاعب الاقتصادية والسياسية، تنتقل من سوريا إلى البلدان المشرقية. وقد أصبح من غير الممكن تجاهل ما جناها الإرهابيون من نجاح في نسف ما تبقى من اطمئنان لدى الجماعة المسيحية المشرقية، ما سيكون له آثار مريعة، حتى لو انتهت الحرب قريباً؛ سيتعاظم، أكثر فأكثر، الاتجاه نحو سيطرة سيكولوجية الانكفاء والهجرة لدى تلك

الجماعة التي يتلهّف الغرب على تجديد شبابيه بدمائها، بينما يُحرم المشرق من فعالية واحدة من أكثر فئاته السكانية، حيوية، في المجالات الاقتصادية والثقافية. تحولت قضية المسيحية المشرقية، في الحرب السورية، إلى قضية سياسية، إقليمية ودولية، مطروحة بقوة، ما يفرض علينا مقاربتها وتحليلها وتظهير عناصرها، في واقعها الفعلي، لكن انطلاقاً من منظور قومي لا طائفي؛ فمن المؤسف أن جميع الفعاليات والنقاشات الجارية حتى الآن بصدد هذه القضية، هي فعاليات ونقاشات طائفية أو تتعامل مع المسيحيين المشرقيين كطائفة. ويصب ذلك، في الأخير، في المشروع الوهابي الصهيوني. لماذا نخض المسيحيين المشرقيين دون سواهم من الجماعات الاجتماعية الثقافية، الدينية والاعتقادية، التي تعرضت، وتعرض، بالفعل، لهجمات التكفيريين الإرهابيين، كالشيعية والعلويين والاسماعيليين والدروز والإكراد وحتى السنة المعتدلين الرافضين للنموذج الوهابي؟

في الإجابة عن هذا السؤال، يمكننا أن نلاحظ ما

هنا المؤسف، أن النقاشات تتعامل مع المسيحيين المشرقيين كطائفة

يأتي: (1) الأحجام الديموغرافية؛ فالشيعية، على مستوى المشرق، ليسوا أقلية عديدة، وقد ظهرت الحرب السورية نوعاً من التشعب السياسي ضمّ العلويين والاسماعيليين وسواهم من المدارس غير السنّة، وهؤلاء جميعاً يشكلون حوالي 40 في المئة من مواطني المشرق، وحين نضيف إلى هذه القوة الديموغرافية، العامل الإيراني، سوف نرى أن العداة التكفيرية للشيعية بعامة، على بشاعته وضرره، لا يمثل تهديداً وجودياً لهذه الجماعة. (2) تقاليد الحماية الذاتية المبنية على تضامن الجماعة المتراصة، في الإقامة والولاء السياسي الداخلي، المنظمة المقاتلة كالدروز. (3) الاطمئنان إلى الانتماء الأغلب كما في حال السنّة المعتدلين المتحدّين. (4) وبالنسبة إلى الإكراد، فإن مشروعهم القومي المتّسم بتضامن داخلي كلي ومنظومة قتالية واعتراف دولي، يجعلهم مبارزين، كما رأينا في حال أكراد سوريا الذين صدّوا بأنفسهم اعتداءات التكفيريين الإرهابيين، وذهبوا، فوراً، إلى تنظيم حكم محلي.

الأمر يختلف بالنسبة إلى المسيحيين المشرقيين؛ فهم يعانون، تاريخياً، من تناقض مستمر في حجمهم الديموغرافي، سواء بسبب الهجرة أو بسبب تنظيم الإنجاب.

وإذا كانت هناك تجمعات مسيحية في هذه المنطقة أو تلك من بلدان المشرق، فإن مسيحيي المشرق، ومعظمهم متمدنين، موزعون على كافة المناطق المشرقية بهذه النسبة أو تلك، ما يحرمهم من ميزة الكثافة. ومن الناحية السياسية، يتّسم المسيحيون المشاركة بالمبول العلمانية، والتوزع على التيارات السياسية المتصارعة، وما هو إيجابي، عندهم، من انعدام وجود تضامن سياسي طائفي داخلي في ما بينهم، وانغماسهم، كاتجاه عام، في التقاليد المدنية غير المقاتلة، يتحول في مجابهة حرب الاستئصال التكفيرية الإرهابية إلى نقطة ضعف. لكن الاختلاف الأساسي بين المسيحيين المشاركة وسواهم من جماعات المشرق، إنما يكمن في المستوى السوسيو ثقافي:

أولاً، المسيحية المشرقية لا تشير إلى عقيدة إيمانية؛ فمسيحيون المشاركة، على العموم، علمانيون. بغض النظر عما إذا كانوا واعين أو غير واعين لعلمانيتهم الواقعية. ولا يعد المرء، في المشرق، مسيحياً، بسبب إيمانه أو ارتباطه بالعقائد المسيحية أو دفاعه عنها أو ارتباطه بالكنيسة إلخ، وإنما بسبب انتمائه إلى جماعة اجتماعية ثقافية ذات خصوصية ظاهرة؛ فسواء تحول المسيحي المشرقي إلى العلمانية الصريحة أو الإلحاد العلمي الصريح، وسواء أصبح شيعياً أو بعثياً أو قومياً سورياً، يظل، رغم ذلك، مسيحياً، بل إن اعتناق المسيحي للإسلام قد يفيد لأغراض الزواج والطلاق أو حل مشكلات الإرث أو سوى ذلك، ولكنه لا يفيد من الناحية السياسية.

من هنا، يتضح، مع الاحترام لرجال الكنيسة، وخصوصاً الوطنيين منهم - أنهم لا يعبرون، موضوعياً، عن الجماعة المسيحية المشرقية. ولا يقتصر الأمر على غير المؤمنين والعلمانيين والشيووعيين والقوميين والوطنيين والعشائريين إلخ، من المسيحيين، بل يشمل، أيضاً، التيار العام من الجمهور المسيحي المشرقي الذي يتوارث، في وجدانه الجمعي وبغض النظر عن اللوائح الإيمانية الكنسية، الميراث الثقافي الروحي للقديس بولس الرسول، مؤسس المسيحية المشرقية، المتحررة كلياً من أي تأثيرات دينية يهودية، والقائمة على نبذ الشريعة والتشريع أو إخضاع الإنسان لأي أوامر أو نواه، في مقابل التأكيد على إرادته الحرة ودفاعيته الأخلاقية الذاتية: «أما الآن (أي بعد المسيح)، فقد خلّنا من الشريعة، وأصبحنا نعمل بنظام الروح الجديد» (رسالة إلى أهل روما، 7: 6).

الكنائس المسيحية جميعها، بما فيها الكنائس المشرقية، لا تسير على إرث بولس الرسول الذي أحدث قطيعة معرفية وثقافية وأخلاقية مع اليهودية، بتوراتها ووصاياها وقيودها وأوامرها ونواهيها. المسيحية الكنسية

معركته الأخيرة في ضوء المتغيرات الدولية، وخاصة في منطقتنا العربية. هذه المتغيرات التي تحمل مشروع الخلاص من السيطرة الاستعمارية، ويدرك هذا التحالف المجرم أن انكفاء حليفه الأكبر الولايات المتحدة الأميركية عن منطقة الشرق الأوسط سيضطر الوهابية السعودية إلى دفع فاتورة ثقيلة نتيجة لسياساتها كاداة مالية وإجرامية في أيدي أسبداها الإمبرياليين.

منذ سبعينيات القرن المنصرم، وسياسة البترول والنفط القائمة على تحالف أموال النفط الخليجية مع السياسات الإمبريالية للولايات المتحدة الأميركية عملت على فرض سياسات قهريّة على شعوب العالم، لعبت أموال النفط دور المحرك الشيطاني لقمع توجهات الشعوب وطموحاتها بالاستقلال الوطني في كل أرجاء المعمورة، وبالأخص في منطقتنا العربية، عدا عن أفريقيا وآسيا وأميركا اللاتينية، وقد أنتجت هذه السياسات الرجعية الحمقاء تنظيم القاعدة والحركات الإسلامية المتطرفة للتصدي لحركات التحرر الوطني، واستغلال المشاعر الدينية العفوية لدى الغالبية العظمى

من المسلمين عبر خلق أفكار همجية وإجرامية والتأسيس لوهابية دولية تضم كل الحركات الإسلامية السنّة المتطرفة، ابتداءً بجماعة «الإخوان المسلمين» إلى المجموعات السلفية للانخراط في عداة شرس مع الآخر، بعض النظر عن دينه ومذهبه وجنسه، وشوّهت الحركة الوهابية معنى الدين الإسلامي أمام العالم وشعوبه.

تحت شعاراتها الإجرامية، أطلقت الحركة الوهابية حملة إرهابية دموية في العراق، وعندما بدأت نذر المؤامرة على سوريا تتجمع قامت الصهيون - وهابية بإطلاق المئات من التنظيمات الإسلامية المختلفة في سوريا من أجل خلق حرب طائفية شعواء ضد كل فئات المجتمع السوري، وجلبت عشرات الآلاف من الشباب المسلم البسيط مستغلة جهلهم وفقهم وعملت على تشويه مفاهيمهم الدينية بحقد أعمى على كل الفئات الاجتماعية السورية، بمن فيهم المسلمون السنّة المخالفون والمعترضون على الفكر الوهابي.

أنفقت الوهابية السعودية والخليجية المليارات من الدولارات لفرض المذهب الوهابي وتقديمه

التحالف المشرقي: دعماً ضد الوهابية

أحمد فاخر *

فرض الانتصار السوري واقعاً جديداً في المنطقة، ويبدو أن أعداء الشعوب في هذه المنطقة قرروا أن يزجوا بثقلهم الدموي العنيف في كل الأرجاء أملاً بتغيير معادلة هذا الانتصار الكبير. من هنا يمكن الفهم أن هذا

■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب ■ محرر التحرير: إيلي شلموب، وظيف
■ قانصوه ■ إقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسن عليف ■ مجتمع: مهدي
■ زرافط ■ نقاشات: وائل، امك اللندري
■ رئيس مجلس الإدارة: إبراهيم الامين ■ الإدارة المالية: فادي خليل
■ الموارد البشرية: ربحا اسماعيل
■ المكاتب: بيروت - فردان - شام دونان - سنتر كونيورد - الطابق
■ السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 5963/113
■ www.al-akhbar.com

■ الإعلانات Tree Ad 03/252224-01/61115
■ التوزيع شركة الوالوك 15-11/666314-01/828381-03

الزخار

تأسست عام 1953
تصدر مع شركة «خيار بيروت»
رئيس التحرير المؤسس
جوزف سلحاح
(2006-2007)
مستشار مجلس التحرير
أنسي الحاج

رئيس التحرير: المدير المسؤول
إبراهيم الامين